السنوسي .. شاعر الجنوب

يحيى محمد بن علي السنوسي

جازان

هنـاك في جنوب المملكـة العربية السعوديـة حيث تكمن الفصاحـة والأدب والشعر، الـذي دوّى صداه بين جنبات جبال تهامة.

كان مـن بين هـؤلاء الشعراء هو الشاعـر الكبير محمد السنوسـي ، فـكان مثالاً على بلاغة العـرب الذي ظهر في شعره.

فهـو مـن الرعيل الأول مـن شعراء العصـر الحديث في المملكة، وله بصمات مضيئة على الأدب السعودي وبخاصة في الجنوب .

ولـد الشاعـر محمد بن علـي السنوسـي يرحمه الله في مدينة جازان عام 1343هـ. وقد تتلمذ على مشايخ جازان في ذلـك الوقت، ومنهـم الشيخ عقيل بن أحمـد، والشيخ علـي أحمد عيسى، والشيخ علي محمـد صالح عبدالحق، كما تعلم أيضًا على يد والده قاضي جازان في ذلك الوقت السيد/علي بن محمـد السنوسي، وقد أجاد اللغة العربية والحسـاب والنحـو والصـرف مبكـرًا، ودرس أيضًـا في الكتاتيـب الموجودة في جازان في ذلـك الوقت، وقد التحق بالوظائـف الحكوميـة في سـن مبكـرة، وذلك لكـي يقوم بمساعدة والده في الإنفاق على الأسرة.

عمـل كاتبًا في جمـرك جازان عام 1363هـ، استمر في الجمـرك حتـى وصل مديـرًا للجمرك عـام 1373هـ، ثم عمـل بعد ذلك رئيسًا لبلدية جـازان عام 1385هـ، وعمل عضوًا في المجلس البلدي في جازان.

في عـام 1390هـ أُحيل علـى التقاعد بناء علـى طلبه، وذلـك للتفرغ للشعـر والأدب. في عام 1392هـ عمل بعد ذلـك مديـرًا لشركـة كهرباء جـازان، وكانـت حين ذاك شركة أهلية..

تأسيس نادي جازان الأدبي:

في عـام 1395هـ تفرغ للأدب وأسس مع صديقة الشاعر محمد العقيلي نادي جازان الأدبي بموافقة صاحب السمو الملكي الأمير فيصل بن فهد يرحمه الله.

استمر في النادي الأدبي نائبًا للرئيس، ثم رئيسًا للنادي حتى عام 1407هـ، وهو العام الذي توفي فيه يرحمه الله.

اهتماماته الكتابية:

بحكـم أن والـده السيد/ علي بن محمـد السنوسي كان شاعـرًا في منطقة جـازان، فقد اهتـم الشاعر محمد بن علـي السنوسـي يرحمـه الله بكتابـة الشعر مبكـرًا، وقد كتـب أول قصيـدة وعمـره 16 سنـة، ومنذ ذلـك التاريخ بـدأ السنوسي في تأليف القصائـد الشعرية تحت إشراف وتشجيع والده، وكان زميله الأستاذ المؤرخ محمد بن أحمد العقيلي، كان أكبر سنًّا منـه، كما اهتم الشاعر السنوسي بالكتابة النثرية وكان يكتب للإذاعة السعودية في المواضيع الدينية والتاريخية، وكان له برنامج خاص يسمى (رجال ومثـل)، وقـد جمعـت كل هـذه المقـالات في كتـاب خاص للأديب الأستاذ/عبد العزيز الهويدي عضو النادي الأدبي في جازان في ذلك الوقت.

واجهـت السنوسـي بعض الصعوبات في نشـر مؤلفاته من أهمها عدم وجـود المطابع، وكذلك أجهزة الاتصالات الحديثـة، وكان يطبـع مؤلفاتـه خـارج المملكـة في لبنان ومصـر، وقد قام النادي الأدبي بطباعـة أعماله الشعرية في كتاب واحـد بعنوان المجموعـة الشعريـة الكاملة، وهو يحتوي على خمس دواوين شعرية.

وتعد مكتبـة الشاعـر السنوسي مرجعًا لشعـراء وأدباء منطقـة جازان، وقد وصى رحمه الله بإهدائها إلى جامعة الملك عبدالعزيز، ليستفيد منها الباحثون وطلبة العلم.

سُميـت باسمـه (جائـزة السنوسـي الشعريـة)، التـي ينظمها مجلس التنمية السياحية في منطقة جازان.

شعره:

شاعـر وجـداني نظـم في عدد غـير قليل مـن أغراض الشعر: كالوصـف والغزل والمناسبـات الاجتماعية، تشف عناويـن دواوينـه عـن روح رومانسيـة الطابـع، تميل إلى الاتـكاء على مظاهـر الطبيعة، معبرة عن نسـق أسلوبي، يمثل ظاهـرة أسلوبية، تتبلـور في إيثـاره استخدام جموع التكسـير بكـثرة، تميـل لغتـه إلى الاقتباس مـن القرآن الكـريم، له ملـح وفكاهة طريفـة في بعض قصائـده، أما وصفه لجـازان فمشبع بالإعجاب والجمـال. لُقّب بشاعر الجنوب.

كان السنوسـي مصابًا بـداء المـاء الأزرق، مما أضعف بصره، وجعله يبث طبيب العيون لواعجه المضنية، فيقول:

يا طبيب العيون شكوى عيوني
من لحاظ حورية التكوينِ
فترفق بها ففي نونها المكن
ونِ أسـرارُ عـالـمٍ مـكنـونِ

ويختمها بتوسل روحي ووجداني:

يا إلهي أسلمت للطب عيني
ولأنت الطبيب فألطف بعيني

وكان السنوسي رافضًا للشعر (الحرّ) حيث يقول:

لا العود عودي ولا الأوتار أوتاري
ولا أغاريدكم من شدو أطياري

من أين جئتم بهذا (الطير) ويحكمو؟!
لا الريش ريشي ولا المنقار منقاري
إني أرى في جناحيه وسحنته
سمات (أليوت) لا سيماء (بشارِ)
قصيدة النثر مثل المشي جامدة
والشعر كالرقص في ترنيم قيثار
إن كان لا بد من فن نجدده
فجددوا في مضامين وأفكارِ

ويصفه الدكتور عمر الطيب الساسي بقوله: كان محمد علي السنوسي من الشعراء الذين يمتلكون حسًّا رقيق العواطف، وكان أديبًا مثقفًا واسع الاطلاع، قرأ روائع الأدب العالمي بعقل متفتح، فتجاوب مع ما فيها من جوانب إنسانية نبيلة، ونظمها في شعره، ومن ذلك قصيدته (أنشودة الصقر) - قال السنوسي وهو يمهد لها: هذه قصة للكاتب العالمي (مكسيم جوركي)، وضعناها في هذا الإطار الشعري، بعد أن أضفنا إليه لمسات فنية، تقربها من الذوق العربي الشفاف. والقصيدة موجودة في ديوان الشاعر السنوسي الموسوم بـ (القلائد)، ومطلعها:

زخر البحر ذو العباب وحيا
شاطئًا حالمًا وأفقًا بهيا
وازرقاق السماء يضفي على الكو
ن جمالاً مهفهفًا شاعريًا
والسنا ذائب يشعشع في الموج
رحيقًا ويستثير حميا
وعلى صفحة الفضاء شعاع
أبيض يسكب الصفاء نقيا

والقصيدة جميلة وطويلة على هذا الغرار من التصور الكوني والتصوير الرقيق البديع للصقر في أنشودته.

آخر أيام حياته:

كان السنوسي يعاني من مرض السكر منذ مدة طويله ولم يكن مطيعًا للأطباء، بل كان يحب الحلويات، الأمر الذي أثر على حالته الصحية؛ حيث بدأت متاعبه الصحية في عام 1402هـ حينها سافر في رحلة علاجه إلى بريطانيا، وقد نصحه الأطباء الإنجليز بالمحافظة على صحته، وفي أواخر عام 1405هـ أصيب السنوسي يرحمه الله بجلطة في المخ نتيجة لمضاعفات السكر حينها كان رئيسًا لنادي جازان الأدبي، وصدرت توجهات صاحب السمو الملكي الأمير فيصل بن فهد يرحمه الله بعلاجه في مستشفى الملك فيصل التخصصي، وهناك وجد كل العناية والاهتمام من الأمير فيصل، الذي زاره شخصيًّا بالمستشفى، ووجه الطاقم الطبي المعالج بعمل كل ما يلزم لشاعر الجنوب كما يسميه، وإنه لا يمانع في نقله إلى أي مكان في العالم إذا كان هناك فائدة من ذلك، وقد مكث بالمستشفى قرابة الشهر، وقد تحسنت صحته خلال هذه المدة، ولكن كان يعاني من ضعف في الذاكرة وصعوبة في الحركة وبرغم كل ذلك فقد عاد لمزاولة عمله الأدبي في النادي وكتابة الشعر كان يرحمه الله مولعًا بالقراءة لدرجه لا تصدق، فلا زلت أذكر أنه كان إذا بدأ في قراءة كتاب بعد صلاة العشاء، فلا يتركه حتى يتمه عند صلاة الفجر كان ينسى نفسه في الكتابة والقراءة، ولا يهتم بصحته وراحته.

كان السنوسي صديقًا ووالدًا لجميع أدباء المنطقة الشباب في ذلك الوقت، منهم الأستاذ حجاب الحازمي

من اليمين: الأستاذ محمد حسين زيدان فالأستاذ الشاعر محمد بن علي السنوسي فالأستاذ كنعان الخطيب فالأستاذ غالب أبو الفرج فالأستاذ ياسين طه (إثنينية عبدالمقصود خوجة)

الأستاذ محمد أنس مخدوم فالأستاذ نبيه الأنصاري فالأستاذ عبد الفتاح أبو مدين فالأستاذ شكيب الأموي فالأستاذ محمد حسين زيدان فالأستاذ محمد بن علي السنوسي فمعالي الشيخ عبد الله بلخير فالأستاذ غالب أبو الفرج فالأستاذ ياسين طه فالأستاذ صالح جمال (إثنينية عبدالمقصود خوجة)

والأستاذ الهويدي وعمر طاهر زيلع وغيرهم الكثير في أبو عريش وصبياء وبيش وصامطة وغيرها من المدن والقرى.

المقربون إليه رحمه الله:

كثيرون هم المقربون منه، فقد كانت لدية صداقة خاصة مع الأستاذ ناصر مصطفى، وهو من أصدقاء الطفولة والشباب، وكذلك الأديب عمر طاهر زيلع والأديب طاهر سلام والأستاذ صالح عمر، وهاشم المهدي، وعبد الرحيم عقيل، والأستاذ الأديب محمد العقيلي.

رأي بعض الأدباء فيه رحمه الله:

يقول الأستاذ عبدالقدوس الأنصاري (صاحب مجلة المنهل): «ما أروع الشعر ينبع من عاطفة شاعر متمكن في اللغة، جامع مع الأسلوب العربي الرائع مع سعة أفق وذهن وإخلاص جيدًا وصدق عاطفة وصحة بيان، وهذه الصفات اللامعة احتشدت كلها في هذا الديوان الأغر (القلائد) الذي يخرجه للناس اليوم شاعر ضليع ذو قوه في البيان، وإشراقة في الفكر، وروعة في المنطق، هو شاعرنا الذي تعتز به المملكة العربية السعودية، وتضعه في الصف الأول من بين شعرائها الأبرار، شعراء الأدب الرفيع، واللسان العفو والضمير النقي من الشوائب».

ويقول الأستاذ عبد المقصود خوجة: «إن شعره يملأ نفسي، ويشعرني أنه يخرج من نفس عربية مؤمنة صادقة قوية اليقين بعروبتها وإسلامها.

ويقول الدكتور محمد العيد الخطراوي: «إن للسنوسي مشاعر دينية قوية، يهتز للمناسبات الإسلامية الخالدة، ونفسه تستجيب لمعانيها المتجددة.

ويقول عنه الدكتور يوسف نوفل: «إن الصورة الفنية عند السنوسي تتسم بسمتين أساسيتين، هما البساطة والتلقائية، وهم أساس التصوير عنده».

الجوائز:

تحصل الشاعر محمد بن علي السنوسي على العديد من الجوائز:

ميدالية الملك عبدالعزيز في مؤتمر الأدباء السعوديين، وميدالية "المتنبي" من وزارة الثقافة العراقية لمشاركته في مهرجان المربد وغيرها من الجوائز.

الإنتاج الشعري:

- له عدد من الدواوين، منها: «القلائد» - دار الكتاب العربي - القاهرة 1960، «الأغاريد» - مطابع الأصفهاني - جدة 1966، «أزاهير» - بيروت 1972، الأعمال الشعرية الكاملة - نادي جازان الأدبي - جازان 1983.

وله كتاب (مع الشعراء) دراسات وخواطر أدبية.

ترجمت له بعض قصائده إلى اللغة الإيطالية، وتم نشرها في مجلة الشعراء بروما.

محمد بن علي السنوسي

ما كتبه شاعرنا السنوسي عن أحمد أمين العالم والأديب المصري الكبير:

ثمن المجد أن تعيش غريبا ... فيلسوفًا أو شاعرًا أو أديبا
تتحدى عواصف الفكر والرأ ... ي وتلقى سلم النهى والخطوبا
كالشهاب الوضئ يحلو لك الجو ... فيزداد شعلة ولهيبا
في سماء من الشعور وقلب ... نابض يصرع الأسى والكروبا
لك روح فسيحة تسع الدنيا ... إذا ضاف ساكنوها قلوبا
وفؤاد مضمخ بالأحاسيس ... يشيع السنا ويهدي الطيوبا
يستمد الحياة من أفقها السا ... مي ويستوعب الفضاء الرحيبا
رن في مسمعي نعيك والبرق ... حزين الدجى يشق الجيوبا
فتوقفت استشف على البعد ... فؤادًا ذوى طريًا خصيبا
وتصورت عبقريًا تردى ... من سماء العلى قويًا مهيبا
وتنورت كوكبًا صدع الليل ... سناه وخر يهوى معيبا
يا (حياة) كانت على العلم أزكى ... من حياة الربيع خصبًا وطيبا
فجرت في مسارب الكون نبعًا ... وهي تستقطر الحياة حبوبا
وأعلنت سلافة الروح روحًا ... عصرتها الشجون كوبًا فكوبا
(فجرها) و(الضحى) على الأفق العل ... مي مجدًا يخلدان الغروبا
حملت من رسالة الفكر نورًا ... ومضت تنشر اللواء القشيبا
وسرت كالشهاب ينصدع اللـ ... ـيل على جانبيه واه كئيبا

الأعمال الشعرية الكاملة

oeikanal.com